كفالة الإسلام للحريات

د./ محمد حسانين أحمد البطح
أستاذ مساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على صفوة المرسلين ، وعلى آله وصحبه والتابعين

أما بعد ،،

فقد خلق الله الإنسان فى أحسن تقويم ، جو منحه السيادة على غيره من المخلوقات بما حباه فى فطرته من إرادة وقصد.
قال سبحانه (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا)([1]).

ولما كانت إرادة الإنسان لا تتحقق إلا فى جو من الحرية الكاملة الواعية التى لا تخل بمبادئ المجتمع العامة كما لا تعتدى على حريات الآخرين، فقد جاء الإسلام كافلا الحرية للإنسان بأنواعها داعيا إليها باعتبارها دعامة يقوم عليها التكليف، وتتأسس عليها الشخصية الإنسانية التى هى محور البناء للمجتمع السليم.

وإذا كان الناس قد تحدثوا فى العصر الحديث عن الحريات، وأشادوا بأنها من دعائم الاستقرار العالمى، وزعموا أنها لم تعرف إلا بعد نضوج الوعى الإنسانى فى سنواته الأخيرة، بل قال قائلون إن فرنسا فى ثورتها المعروفة كان لها الفضل فى إبراز هذه الحريات إن لم يكن فى خلقها، وقامت منظمات دولية تحتضن حماية الحريات وتدعو إلى احترامها، فإن الإسلام قد سبق كل أولئك فى هذا الميدان، شأنه دائما فى كل تنظيم يقصد تحقيق المصلحة للفرد والمجتمع.

وهذا البحث يعد إطلالة موجزة لتوضيح كفالة الإسلام للحريات وقد اشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فبها بيان بأهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث فيه.

وأما التمهيد فقد تناولت فيه مفهوم الحرية وارتباطها بالمسئولية .

وأما المبحث الأول فيه دراسة للحرية الدينية وركائزها.

([1]) سورة الإسراء آية ٧٠

وأما المبحث الثانى فهو بعنوان "الحرية الفكرية ضوابطها وتطبيقاتها".
وأما المبحث الثالث فهو بعنوان "الحرية الاقتصادية وأبعادها".
وأما الخاتمة فبها نتائج الدراسة.

تمهيد بين يدى الدراسة
مفهوم الحرية وارتباطها بالمسئولية

الحرية فى اللغة:

جاء فى لسان العرب: الحر بالضم نقيض العبد، والجمع أحرار والحرة نقيضة الأمة، والجمع حرائر، وحرره: أعتقه، وتحرير الولد: إفراغه لطاعة الله عز وجل وخدمة المسجد ومنه قوله تعالى "رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا"[١].

والحر من الناس: أخيارهم وأفاضلهم، وحرية العرب أشرافهم قال ذو الرمة:

فصار حيا وطبق بعد خوف على حرية العرب الهزالى

أى على أشرافهم، ويقال هو من حرية قومه أى من خالصهم، وحر الفاكهة خيارها، والحر: كل شئ فاخر من شعر أو غيره، وحر كل أرض: أوسطها وأطيبها"[٢].

فبان من جملة هذه المعانى أن لفظتى الحر، والحرية متلاقيتان وتعنيان: الانطلاق من الأسر، والانقطاع لطاعة الله وخدمة بيته، والخيرية، والفضل والشرف والوسط.

الحرية فى الاصطلاح:

يمكن تعريف الحرية بأنها معنى اجتماعى يعنى الانطلاق المنضبط بضابطين:-

أحدهما : السيطرة على النفس.

وثانيهما : الإحساس الدقيق بحق الناس[٣].

يشير إلى الأول قوله صلى الله عليه وسلم: ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب[٤].

وإلى الثانى قوله كذلك: إن مما توارثه الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت[١].

١- سورة آل عمران آية ٣٥

٢- ص٨٢٩ مادة حرر ط دار المعارف .

٣- تنظيم الإسلام للمجتمع/ محمد أبو زهرة ص١٤٢.

٤- رواه أحمد والبيهقى عن أبى هريرة/ فيض القدير بشرح الجامع الصغير- المناوى ج٥ ص٤٣٤.

ومبرر التقييد بهذين الضابطين: ألا تكون الحرية منفلتة تتجاوز حقوق الآخرين، أو تضر بمصالحهم على تقدير أن صاحبها حر فيما يفعل ويترك، بينما الحرية لا تتصور إلا مقيدة، ثم إن هذين القيدين لا يحولان بين الشخص وبين الانطلاق، وإنما هما فى الواقع قيدين ذاتيين للحرية وليسا بخارجين عنها، بمعنى أنهما من قبيل الحماية لها حتى لا تتصادم الحريات.

وعلى ذلك فالحر من الناس هو الشخص الذى تتجلى فيه المعانى الإنسانية المستعلية على سفاسف الأمور، والمتجهة إلى معاليها، ولا يتحقق ذلك إلا بضبط النفس حتى لا تنفلت وراء الأهواء فبانفلاتها تذهب الحرية والإنسانية معا.

الحرية والمسئولية مترابطتان :

وقد يبدو فى الظاهر تناقض بين الحرية والمسئولية، فالحرية كما يتصورها بعض الناس هى الانطلاق من المسئولية، وهذا أمر لا وجود له فى دين سماوى أو نظام قانونى سوى لأن التصرف الذى يصدر عن الإنسان ويتعدى غيره لابد وأن يكون صاحبه مسئولا عنه، وليس فى هذا أصدق من قوله سبحانه "كل نفس بما كسبت رهينة"[٢]. وقوله صلى الله عليه وسلم "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"[٣].

حيث عممت النصوص المسئولية على كل إنسان ولم تترك أحدا حتى لا تكون الحرية فوضوية أو حيوانية انفلاتية، لذا كانت الحرية والمسئولية غير متناقضتين بل متعاونتان فى تحقيق السلام والوئام وحسن التعايش بين الأفراد.

وفيما يلى بيان بأبرز مجالات الحرية التى أقرها الإسلام:-

١- رواه الطبرانى فى الأوسط/ مجمع الزوائد للهيثمى جـ١٠ ص٥٠٦.

٢- سورة المدثر آية ٣٨.

٣- رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير ورجال الكبير رجال الصحيح/ مجمع الزوائد جـ٥ ص٣٧٥.

المبحث الأول
الحرية الدينية وركائزها

ويراد بهذا المصطلح "الحرية الدينية" إعطاء الفرد الحرية الكاملة فيما يدين به بحيث لا يجبر على الدخول فى دين معين أو اعتناق عقيدة ما إلا بعد قناعة ورضى، ذلك لأن الأساس فى الاعتقاد هو الاختيار، وأساس الاختيار هو التفكير والاقتناع، فنتج عن ذلك أمور ثلاثة تستلزمها الحرية الدينية هى:-

أولا : التفكير الحر فيما يراد اعتقاده.

ثانيا : منع الإكراه على الاعتقاد.

ثالثا : العمل وفق ما يدين الشخص[١]

وبيان ذلك ما يلى:-

الأساس الأول : التفكير الحر فيما يراد اعتقاده :

وهو الاعتقاد على أساس التأمل والتفكر. فقد أولاه الإسلام جل اهتمامه، فدعا إلى التفكر بأساليب شتى، وفى كل المجالات عدا التفكر فى ذات الله سبحانه، إذ التفكر فى ذاته سبحانه تبديد لطاقة العقل فيما لا طائل من ورائه حيث لا يمكنه إدراكه، فحسبه أن يفكر فى آثار الله فى السماوات والأرض وفى نفسه، قال تعالى: "إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب"[٢]. وقال أيضا "أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى"[٣].وحض سبحانه على التفكر فى آياته تعالى فى هذه المخلوقات فقال سبحانه "هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون"[٤]. وقال "وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون"[٥].

١- تنظيم الإسلام للمجتمع ص ١٤٤.

٢- سور آل عمران آية ١٩٠.

٣- سورة الروم آية ٨.

٤- سورة النحل آية ١٠، ١١.

٥- سورة الجاثية آية ١٣.

وقال عز من قائل "وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون"[١].

ولم تقف دعوة الإسلام إلى التفكر عند حد الجوانب المادية بل تجاوزتها إلى الجوانب المعنوية كما فى العلاقة بين المرء وزوجه التى اعتبرها القرآن الكريم آية من آيات الله سبحانه قال عز وجل "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون"[٢].

ومن هذه الجوانب المعنوية آيتا الله فى النوم والموت قال سبحانه "الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون"[٣].

ومنها التفكر فيما يضربه الله من أمثال يقرب بها المعانى إلى العقول فى صورة المحسوس يقول عز شأنه "أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون"[٤]. ويقول "لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون"[٥].

وكما أن الآيات الكونية مجال للتفكر فإن الآيات التنزيلية هى مجال آخر للتفكر، فتلك آيات مشهودة منظورة، وهذه آيات مسموعة ومقروءة.

قال تعالى "ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون، فى الدنيا والآخرة"[٦].

١- سورة النحل آية ٦٨، ٦٩.

٢- سورة الروم آية ٢١.

٣- سورة الزمر آية ٤٢.

٤- سورة البقرة آية ٢٦٦.

٥- سورة الحشر آية ٢١.

٦- سورة البقرة آية، ٢١٩-٢٢٠.

وقال "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون"[١].

كما حرض على التفكر فى أمر الوحى وإثبات النبوة فقال: "أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة"[٢].

بل إنه طالب المشركين وأهل الكتاب بإقامة البرهان على صدق الدعوى، إذ لا دعوى بغير برهان فقال عز شأنه: "قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين"[٣]. وقال "أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم"[٤]. وقال أيضا "أم من يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أ إله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"[٥].

وقال "ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الاثنين أما اشتملت عليه أرحام الاثنين نبئونى بعلم إن كنتم صادقين"[٦].

وقال: "سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا"[٧]. وقال: "قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له ما فى السماوات وما فى الأرض إن عندكم من سلطان بهذا"[٨].

كما شن حملة عنيفة على الجمود والتقليد فى كل صوره، لأن التقليد وحرية الاعتقاد نقيضان لا يجتمعان، ففى التقليد إبطال منفعة العقل الذى خلق للتدبر والتأمل يقول تعالى فى سورة البقرة "وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون

١- سورة النحل آية: ٤٤.

٢- سورة الأعراف آية ١٨٤.

٣- سورة الأحقاف آية ٤.

٤- سورة الأنبياء آية: ٢٤.

٥- سورة النمل آية ٦٤.

٦- سورة الأنعام آية ١٤٣.

٧- سورة الأنعام آية ١٤٨.

٨- سورة يونس آية ٦٨.

شيئا ولا يهتدون"[١]. وفى سورة المائدة "وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون"[٢].

ففى سورة البقرة يبين أنهم ينقصهم العقل، وفى سورة المائدة يبين أنهم ينقصهم العلم، وفى كلتا الحالتين يوضح أنهم ينقصهم الاهتداء إلى الصواب،

كما أوضح سبحانه أن الاتكاء على ما جاء به الآباء هو موقف المترفين من قديم قال تعالى: "وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون"[٣].

وأوضح أن التقليد هو عقبة الأمم فى طريق الهداية، ففى قصة هود عليه السلام بعد دعوته لقومه يقولون له: "أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا"[٤]. ويقول قوم صالح عليه السلام له: "قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواقبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد أباؤنا"[٥].

يقول قوم إبراهيم عليه السلام له عندما سألهم "ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين"[٦]. ويقول قوم شعيب عليه السلام له: "قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا"[٧]وفى الأقوام بصفة عامة إخبار عن مواقفهم من الرسل: "قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فائتونا بسلطان مبين"[٨].

ويعنون بالسلطان الآيات الكونية الخارقة، وهى تعلات على سبيل التعجيز وليس الاستيضاح فبان من ذلك منهج الإسلام فى إقامة الدين على أساس من التفكير الحر وطلب البرهان ونبذ التقليد والتعصب وغيرهما من

١- سورة البقرة آية ١٧٠.

٢- سورة المائدة آية ١٠٤.

٣- سورة الزخرف آية ٢٣.

٤- سورة الأعراف آية ٧٠.

٥- سورة هود آية ٦٢.

٦- سوءة الأنبياء ٥٢، ٥٣.

٧- سورة هود آية ٨٧.

٨- سورة إبراهيم آية ١٠.

أغلال الحجر على العقل وسيطرة التبعية العمياء حتى تخلص العقول من أسر العبودية لغير الله.

الأساس الثانى: منع الإكراه على الاعتقاد:

فليس هناك أبين من نصوص الإسلام الصريحة فى هذا الشأن يقول تعالى: "لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى"[١]. نقل ابن جرير عن ابن عباس فى سبب نزول هذه الآية: أن رجلا من الأنصار وهو أبو الحصين من بنى سالم بن عوف كان له ولدان فتنصرا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فى نفر من الأنصار يحملون الزيت فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأنصارى أيدخل بعضى فى النار وأنا أنظر؟ فنزلت هذه الآية[٢].

كما صرحت نصوص أخرى بأن الله تعالى لم يرد من خلقه أن يكونوا مؤمنين عن طريق القهر بل عن طريق النظر، إذ لو أراد سبحانه إيمانا قهريا لطبعهم عليه كما طبع الملائكة، لكنه ترك البشر وما يختارون، واكتفى بأن أخذ عليهم مواثيق الفطرة وأشهدهم بها على أنفسهم، وأرسل إليهم رسلا تذكرهم وتدعوهم إلى النظر فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شئ، ولما كان من سننه سبحانه فى بنى الإنسان أن تختلف عقولهم وأفكارهم، وتتفاوت أنظارهم فى الآيات الدالة على الإيمان فيؤمن بعض ويكفر آخرون، جاءت نصوص الإسلام داعية إلى الإيمان بالله عن طريق النظر والاختيار قال سبحانه: "ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين، وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون، قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون"[٣].

وقال: "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم"[٤].

١- سورة البقرة آية ٢٥٦.

٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط ص ٣١١ مكتب التراث الإسلامى.

٣- سورة يونس آية ٩٩-١٠١.

٤- سورة هود آية ١١٨، ١١٩.

وقال أيضا: "ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين"[١].

بل وأفادت الآيات كذلك أن تلك هى طبيعة الدعوات السماوية قاطبة التى جاءت بها رسل الله أجمعين.

فجاء على لسان نوح عليه السلام: "أنلزمكموها وأنتم لها كارهون"[٢] وفى دعوة إبراهيم لأبيه "فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه"[٣].

وفى دعوة موسى وهارون عليهما السلام لفرعون: "فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى"[٤]. وفى دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم: "فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمصيطر"[٥].

بل إن الوقائع التاريخية لتؤكد كذلك خلو الدعوة الإسلامية من الإكراه، وإلا فأين الإكراه الذى فرض على المسلمين فى مكة قبول الدين؟ إن النبى صلى الله عليه وسلم نفسه كان مضطهدا، ومن حوله من أتباع كانوا يعذبون ويضطهدون، وحالة كهذه لا يعقل أن يكون معها إرغام على الإسلام، بل قد تكون مانعة من الدخول فى الإسلام أو إظهاره على الأقل.

يقول الشيخ محمد عبده فى رسالة التوحيد: كانت الملوك من غير المسلمين إذا فتحوا مملكة أتبعوا جيشها الظافر بجيش من الدعاة إلى دينهم، يلجون على الناس بيوتهم، ويغشون مجالسهم، ليحملوهم على دين الظافر، وبرهانهم الغلبة، وحجتهم القوة، ولم يقع ذلك لفاتح من المسلمين، ولم يعهد فى تاريخ فتوح الإسلام أن كان له دعاة معروفون لهم وظيفة ممتازة يأخذون على أنفسهم العمل فى نشره، ويقفون مسعاهم على بث عقائده بين غير المسلمين، بل كان المسلمون يكتفون بمخالطة من عداهم ومحاسنتهم فى المعاملة، وشهد العالم بأسره أن الإسلام كان يعد مجاملة المغلوبين فضلا وإحسانا عندما كان يعدها الأوربيون صنعة وضعفا، إلى أن قال: بلغ أمر المسلمين فيما بعد ألا يقبل إسلام من دخل فيه إلا بين يدى قاض شرعى بإقرار من المسلم الجديد أنه أسلم بلا إكراه ولا رغبة

---

[١] – سورة الأنعام آية ٣٥.

[٢] – سورة هود آية ٢٨.

[٣] – سورة التوبة آية ١١٤.

[٤] – سورة طه آية ٤٤.

[٥] – سورة الغاشية آية ٢١-٢٢.

فى دنيا، بل وصل الأمر فى عهد بعض الخلفاء الأمويين أن كره عمالهم دخول الناس فى دين الإسلام لما رأوا أنه ينقص من مبالغ الجزية، وكان فى حال أولئك العمال صد عن سبيل الدين لا محالة، ولذلك أمر عمر بن عبد العزيز بتعزير مثل أولئك العمال، وقد أثر عنه أن قال له ما بعث محمد جابيا ولكن بعث هاديا"[١].

وقد صرح بذلك بعض الكتاب الغربيين مبرزا أن الوقائع التاريخية تشهد بأن القوة أو القهر لم يكونا عاملين فى تحول الناس إلى الإسلام، بل السبب فى تحولهم إلى الإسلام هو نبذهم لديانتهم فى ذلك الحين.

يقول السير: توماس أرنولد تحت عنوان انتشار الإسلام بين الشعوب المسيحية فى آسيا الغربية: تحول البدو المسيحيين إلى الإسلام.

ومن ثم لم يكن غريبا أن نجد كثيرا من البدو المسيحيين ينجرفون فى التيار الدافع لهذه الحركة الضخمة، وأن نجد كثيرا من القبائل العربية التى دانت بالمسيحية قرونا قد نبذتها فى ذلك الوقت لتدين بالإسلام، وكان من بين هؤلاء قبيلة بنى غسان الذين بسطوا نفوذهم على الصحراء الممتدة شرقى فلسطين وجنوبى سورية، والذين كان يقال عنهم إنهم أرباب فى الجاهلية نجوم فى الإسلام، وبعد موقعة القادسية سنة ١٤هـ التى انهزم فيها الجيش الفارسى بقيادة رستم هزيمة منكرة وفد على قائد المسلمين كثير من المسيحيين الذين كانوا ينتمون إلى قبائل البدو التى كانت تقيم على ضفاف نهر الفرات، وقالوا إن القبائل الذين سبقوا إلى الإسلام كانوا أصوب منا رأيا، واليوم وقد قتل رستم فلندخل فى الدين، وشبيه بهذا أنه بعد فتح شمال الشام انضمت معظم القبائل البدوية بعد شئ من التردد إلى اتباع النبى، ويمكننا أن نحكم من الصلات الودية التى قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملا حاسما فى تحويل الناس إلى الإسلام، فمحمد نفسه قد عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية، وأخذ على عاتقه حمايتهم، ومنحهم الحرية فى إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم فى أمن وطمأنينة[٢].

---

[١] – ص١٧٠.

[٢] – الدعوة إلى الإسلام، ص ٦٥.

ويورد السير كذلك بعض أسباب التحول إلى الإسلام فى موضع آخر فيقول:

ويزعم كثير من علماء اللاهوت المسيحيين أن حالة الكنيسة الشرقية التى تدهورت فى ذلك الوقت من الناحيتين الخلقية والروحية لابد وأن تكون قد دفعت كثيرين إلى أن يلتمسوا جوا روحيا أسلم وأصح فى ذلك الدين الإسلامى الذى جاءهم وهم فى أشد ما تكون الحماسة الغضة قوة وعنفا، وعلى سبيل المثال يتساءل "ملمان" ماذا كانت حال العالم المسيحى فى الأقاليم التى تعرضت لأولى غزوات الإسلام؟

كانت الأحزاب الدينية يناوئ بعضهم بعضا، ورجال الكنيسة يتنازعون فيما بينهم على أشد مسائل الدين إبهاما وأكثرها غموضا، فيما يتعلق بما وراء الطبيعة فى العقيدة الدينية، والأرثوذكس والنساطرة واتباع أو طيخوس واليعاقبة يضطهد بعضهم بعضا، وقد استحكمت بينهم العداوة التى لا تفتر ولا تنقطع، ولا نكون مبالغين فى الحكم على مساوئ الجدل الدينى إذا افترضنا أن كثيرين ربما فرحوا بوقوع خصومهم فى إسار الكفار، إذ كان هذا أفضل عندهم من أن يجمع بينهم هدف مشترك فى سبيل الدفاع عن المسيحية التى تربط بينهم، فكم من أناس لابد وأن يكون هذا الجدل المستمر قد زعزع أسس عقيدتهم، وكم كان يكون غريبا لو أن هؤلاء الآلاف من الناس لم يلتمسوا وهم فى ضجرهم وحيرتهم ملجأ من هذه المجادلات التى لا تنتهى عند حد، ولا تعرف اللين والتسامح فى تلك الحقيقة البسيطة الواضحة- حقيقة الوحدانية- مهما طولبوا بالاعتراف ببعثة محمد ونبوته، وشبيه بهذا ما يراه كتيانى من أن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التى جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحى، أما الشرق الذى عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة فقد كانت الثقافة الهلينية وبالا عليه من الوجهة الدينية لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة مليئة بالشكوك والشبهات فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها، فلما أهلت آخر الأمر أبناء الوحى الجديد فجأة من الصحراء لم تعد تلك المسيحية الشرقية التى اختلطت بالفسق والزيف، وتمزقت بفعل الانقسامات الداخلية وتزعزعت قواعدها الاساسية، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الريب، لم تعد المسيحية بعد قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الذى بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة، وقدم مزايا مادية جليلة

إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التى لا تقبل الجدل، وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى فى أحضان نبى بلاد العرب[١].

وبيانا لما نعم به أصحاب الديانات الأخرى من حرية دينية فى ظل الإسلام يقول السير توماس تحت عنوان: التسامح يشمل هؤلاء الذين ظلوا على المسيحية.

وعقد النبى مع المسيحيين من بنى تغلب معاهدة سمح لهم فيها بأن يحتفظوا بدينهم القديم، ولكن هذه المعاهدة لم تسمح لهم بتعميد أبنائهم، وإن مثل هذا الشرط الذى يختلف تمام الاختلاف عن سياسة التسامح التى تعود النبى أن يسير عليها إزاء العرب المسيحيين الذين سمح لهم بأن يختاروا بين الإسلام ودفع الجزية، ولم يرغموا قط على ترك دينهم، قد يغلب على الظن بأن الأسر المسيحية من بنى تغلب هى التى قد اقترحت هذا الشرط من تلقاء نفسها بدوافع اقتصادية، ويدل بقاء المسيحية طويلا فى هذه القبيلة، على أن هذا الشرط لم يكن معمولا به فى حقيقة الأمر، وقد حرم الخليفة عمر استخدام أية وسيلة من وسائل الضغط عليهم عندما أظهروا أنهم لا يرغبون فى ترك دينهم القديم، وأمر بترك الحرية لهم فى إقامة شعائرهم الدينية على ألا يقفوا فى سبيل أى فرد من أفراد قبيلتهم يرغب فى التحول إلى الإسلام أو يعمدوا وليدا ممن أسلم آباؤهم، وقد طلب إنى بنى تغلب أن يدفعوا الجزية أو الضريبة المفروضة على الرعايا من غير المسلمين[٢].

كما يشير إلى تسامح المسلمين فى عهودهم من خلال ذكره لبعض نصوص المعاهدة العمرية التى عاهد عمر رضى الله عنه عليها أهل إيلياء حين سلم إليه بيت المقدس متعهدا لهم فيها بحماية أرواحهم وممتلكاتهم وإطلاق الحرية الدينية لهم فى مقابل الإذعان ودفع ما فرض عليهم. بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شئ من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، وفرض عليهم الخراج خمسة دنانير من الموسرين وأربعة من الطبقة الوسطى، وثلاثة من الفقراء، وقد

١- ص٨٩، ٩٠.

٢- ص ٦٧.

زار عمر الأماكن المقدسة يصحبه البطريق، وقيل إنه بينما كانا فى كنيسة القيامة، وقد حان وقت الصلاة طلب البطريق إلى عمر أن يصلى هناك، ولكنه بعد أن فكر اعتذر وهو يقول إنه إن فعل ذلك فإن أتباعه قد يدعون فيما بعد أنه محل لعبادة المسلمين، ومما يتفق مع هذه الروح التى تنطوى على حسن معاملة عمر لرعاياه من أصحاب الديانات الأخرى ما أثر عن عمر من أنه أمر أن يعطى قوم مجذومون من النصارى من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت، وهو لا ينسى الذميين وهم أصحاب الديانات الأخرى الداخلون فى حماية المسلمين حتى فى أخرى وصاياه، إذ عهد فيها إلى من يخلفه بما ينبغى القيام به فى هذا المنصب السامى فقال: وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم وألا يكلفوا إلا طاقتهم. أهـ.

كما أنه رضى الله عنه كتب لأهل نجران كتاب الصلح الذى نجد فيه ما يؤكد تعايش أهل الكتاب مع المسلمين وهم على دينهم، وقد ورد فيه: ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته[١] بل إننا لنلمس مستوى رفيعا لحرية العقيدة فى نمط التفكير الذى يذهب ببعض كبار فقهاء المسلمين كالإمام الشافعى إلى أن يقرر حماية لحرية العقيدة فى مسألة إسلام الزوجة غير المسلمة أنه لا يعرض الزوج الإسلام على زوجته الكتابية، ويعلل لذلك بأن فى هذا العرض تعرضا لهم وقد ضمنا بعقد الذمة ألا نتعرض لهم[٢]. أى أن الإمام الشافعى يرى عدم جواز عرض الإسلام على الزوجة الكتابية لما يرى أن فى ذلك شيئا ولو ضئيلا من إكراهها على الإسلام.

بل لقد كان من مظاهر الحرية الدينية أن شغل المسيحيون المناصب العالية فى بلاط الخلفاء المسلمين فيقول السير توماس تحت عنوان: المسيحيون فى ظل الحكم الإسلامى- ولما كان المسيحيون يعيشون فى مجتمعهم آمنين على حياتهم وممتلكاتهم ناعمين بمثل هذا التسامح الذى منحهم حرية التفكير الدينى تمتعوا وخاصة فى المدن بحالة من الرفاهية والرخاء فى الأيام الأولى من الخلافة، وقد توسع معاوية

١- الخراج لأبى يوسف ص٨٦.

٢- شرح كنز الدقائق للزيلعى ج٢ ص ٩٧٤.

٤١-٦٠هـ، ٦٦١-٦٨٠م فى إلحاق المسيحيين بخدمته، وحذا حذوه فى ذلك أفراد آخرون من البيت المالك، وطالما شغل المسيحيون مناصب عالية فى بلاط الخليفة مثل الأخطل وهو عربى نصرانى كان شاعرا للبلاط، ومثل أبى القديس يوحنا الدمشقى مستشار الخليفة عبد الملك، وكان فى خدمة الخليفة المعتصم أخوان مسيحيان بلغا منزلة سامية عند أمير المؤمنين أحدهما يدعى سلموية، ويظهر أنه كان يشغل منصبا قريب الشبه من منصب الوزير فى العصر الحديث، وكانت الوثائق لاتتخذ صفة التنفيذ إلا بعد توقيعه عليها، على حين عهد إلى أخيه إبراهيم بحفظ خاتم الخليفة، كما عهد إليه بخزانه بيوت الأموال فى البلاد، وكان المنتظر من طبيعة هذه الأموال وتصريفها أن يوكل أمر الإشراف عليها إلى رجل من المسلمين، وقد بلغ من ميل الخليفة الشديد إلى إبراهيم أنه عاده فى مرضه الأخير وغمره الحزنة عند وفاته، وأنه أمر بتشييع جنازته بإحضار جثمانه إلى القصر حيث أقيمت له الطقوس المسيحية فى خشوع مهيب[١].

إن بعض المغرضين يشنون الحرب على الإسلام بمقولتهم إن الإسلام قد انتشر بالقهر والإكراه وبقوة السيف، وهى فرية يبرأ منها الإسلام الذى لم يرفع سيفا إلا لحماية الحرية ومنع الاضطهاد الدينى قال تعالى: أذن للذين يقاتون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز"[٢].

ويقول سبحانه "وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين"[٣]. ويقول تعالى: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله"[٤] أى يعلو صوته ويظهر أمره.

ويقول أيضا: "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"[٥].

١- ص ٨١.

٢- سورة الحج آية ٤٠.

٣- سورة البقرة آية ١٩٠.

٤- سورة البقرة آية ١٩٣.

٥- سورة التوبة آية ٢٩.

فالغاية من القتال هى إعطاء الجزية لحكمتها المعروفة أى فى مقابل الحماية والدفاع ولم يقل حتى يسلموا.

يقول الدكتور عبد الكريم عثمان:

إن تاريخ المسلمين لم يعرف موقفا كالذى وقفه الأسبان من المسلمين حيث غلبوهم على الأندلس، فقد خيروهم بين ترك الأندلس أو الدخول فى دين النصرانية أو القتل، فقضوا على ملايين المسلمين ومنعوا أن يذكر اسم الله فى دولة كاملة عاش المسلمون فيها ثمانية قرون، ولكن تاريخ الإسلام ملئ بمواقف السماحة والإنسانية والمحبة. ثم يضرب أمثلة لذلك فيقول: أما حرية ممارسة الشعائر الدينية فقد كانت مؤمنة فى الإسلام بشكل لم يعرف له مثيل فى أى دين أو نظام آخر، فالرسول الكريم يدعو إلى تركهم وما يدينون، واليهود والنصارى يترددون على كنائسهم وبيعهم فى ظل الدولة الإسلامية، ولم يعرف أن حاكما مسلما هدم كنيسة أو أقفل بيعة أو حولها إلى مسجد، بينما يعرف تاريخ الحكومات الأخرى أمثلة كثيرة منع فيها المسلمون من ممارسة شعائره، فقد هدمت المساجد فى الأندلس كلها وحولت إلى كنائس، ومنع المسلمون فى بلاد كثيرة من الجهر بإسلامهم أو الاحتفاظ به بينهم وبين أنفسهم، إن تاريخ الإسلام يشرف المسلمين فى تسامحهم، ويصفع كل من يتجرأ على أن يوجه للمسلمين تهمة الوقوف أمام حرية ممارسة الشعائر الدينية، ولقد بلغ الإسلام من سماحته أن جعل من حق زوجة المسلم اليهودية أو النصرانية أن تذهب إلى الكنيسة أو إلى المعبد ولم يسمح لزوجها أن يمنعها من ذلك.

أما حرية أصحاب الأديان الأخرى فى ممارسة ما يبيحه لهم دينهم من طعام أو شراب أو غيره، فقد بلغ الإسلام الذروة فى هذا المجال، فقد منع أن يقتل لهم خنزير لأنهم يأكلونه، مع أن الإسلام يحرم على أتباعه أكل لحم الخنزير، ومنع أن تراق لهم خمر لأنهم يشربونها مع أن الإسلام يحرم على أتباعه شرب الخمر، فإذا أراق مسلم لمسلم خمرا أو قتل خنزيرا لم يكن عليه شئ، وإذا أراق لنصرانى خمرا أو قتل خنزيرا كان عليه أن يدفع له ثمنه، فهل بلغ دين أو نظام مثل هذه القمة فى التسامح وإخلاد الحريات.

وقد ترك الإسلام لأهل الديانات الأخرى أن يمارسوا ما يسمى بالأحوال الشخصية من قضايا الزواج والطلاق والنفقة والمواريث دون أن يتعرض لهم فى ذلك أو يجبرهم على اتباع شريعة المسلمين فيها، وذلك لأنه يحترم حرية الإنسان وكرامته فأباح لهم أن يتصرفوا فيها كما

يشاءون دون أن يضع عليهم قيودا أو سدودا، هذا بالإضافة إلى أن الإسلام أباح لأصحاب الأديان الأخرى حرية الجدل والمناقشة فى حدود العقل والمنطق والأدب وعدم الخروج على النظام، بل لقد أمر المسلمين أن يبتعدوا عن العنف والخشونة فى مناقشتهم لهم، يتبين لنا ذلك فى قوله تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن"[١]. وقال: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون"[٢] أهـ[٣].

الأساس الثالث: العمل وفق ما يدين به الشخص:

وليست حرية التدين تعنى إباحة الخروج على تعاليم الدين أو التمرد على نظام الدولة، فهذا الخروج المعلن يسمى ردة ، وجزاء المرتد معلن فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من بدل دينه فاقتلوه"[٤].

ذلك لأن الإسلام لو سمح لأتباعه الخروج على عقيدته إلى عقيدة أخرى مخالفة فهو حينئذ يسمح بإزالة وجوده ويحكم على نفسه بالزوال، فكان ضروريا أن يكافح أولئك الذين يريدون الدخول فيه خداعا والخروج منه ضرارا، إساءة إلى الإسلام، وإهانة إلى عقيدته، والاحتيال على شريعته، وإيقاع الفتنة فى مجتمع المسلمين، فلا أحد يقول بأن الخروج على الدين أو النظام يسمى حرية، بل جريمة قبيحة فى حق الجماعة، وقد كشف القرآن الكريم عن مكيدة كادها أهل الكتاب للإسلام عندما أرادوا الدخول فيه أول النهار والخروج منه آخره يبغون بذلك فتن المسلمين فى دينهم ووضع الشبهات فى معتقدهم والحيلولة بين الإسلام وبين من يريد الدخول فيه، قال سبحانه: "وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون"[٥].

فماذا ينتظر من دين الإسلام فى مواجهة مثل هذه المكيدة؟ أينتظر منه أن يقابلها ببلادة؟ أما ماذا؟

١- سورة النحل آية ١٢٥.

٢- سورة العنكبوت آية ٤٦.

٣- معالم الثقافة الإسلامية ص٦٠-٦٢.

٤- رواه البخارى وأحمد عن ابن عباس/ فيض القدير ج٦ ص١١٧.

٥- سورة آل عمران آية ٧٢.

إن الإسلام قد دعا إلى التفكير والامتناع قبل الدخول فيه وأباح العيش فى جواره مع المسالمة دون إكراه على الدخول فيه، فهل يترك بعد ذلك من يريد العبث به ليمكنه من بلوغ هدفه؟

يقول الدكتور محمود بابللى:

وحسما لهذه المفسدة ودفعا لهذا الضرر الظاهر على الجماعة قرر الإسلام عقوبة رادعة هى القتل وبنى عقوبته على أساسين:-

الأول: إخلال المسلم فى الوفاء بالتزامه،

وبيان ذلك أن الشخص بإسلامه مختارا يكون قد رتب على نفسه الالتزام بعقيدة الإسلام وأحكامه بإرادته، فإذا ارتد يكون قد أخل بالتزامه فضلا عن إساءته للدولة بتجرئه على عقيدتها عامدا، لأن ردته لا تعرف إلا بإعلانها من قبله، وفى ذلك خروج على النظام العام للدولة التى اتخذت الإسلام عقيدة وشريعة لها وعلى ذلك يستحق العقاب إذ المعروف فى الشريعة والقانون أن إخلال الشخص بالتزامه يرتب عليه الجزاء.

الثانى: درء المفسدة عن المجتمع

وبيان ذلك أن الدخول فى الإسلام بقصد التشويس على عقائد الناس وإفسادها عليهم وما يجر ذلك من إيقاع الفتنة بينهم مفسدة كبرى بحق الجماعة توجب العقاب، لا سيما لو قرأنا ما فرضه الإسلام على المسلمين نحو أهل الكتاب من البر بهم والعدل معهم قال سبحانه: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون[1].

[1]- الإنسان وحريته فى الإسلام د/ محمود بابللى ص١٥٨، والآيتان من سورة الممتحنة رقم ٨، ٩.

المبحث الثانى
الحرية الفكرية أو حرية الرأى (الضوابط والتطبيقات):

سبق أن فصلت القول فى عناية الإسلام بالتفكير ودعوته إلى إطلاقه من أسر القيود التى تعوق مسيرته.

وإذا كان الإسلام قد أطلق حرية التفكير من عقالها، فإنه من الطبيعى أن يتبعها بحرية التعبير عن هذا الفكر، وهذا ما يسمى بحرية الرأى، وقد سبق الإسلام بالمناداة بها وجعلها سواء بين الناس جميعا وقت أن كانت قاصرة على أصحاب السلطان والنفوذ.

يقول الدكتور عبدالغفار عزيز:

ولقد تحدث القرآن الكريم عن الحرية فى وقت كان الناس لا يفكرون بعقولهم، ولا يحفلون إلا بما وجدوا عليه آباءهم، ولم تكن هذه الحرية موجودة على الإطلاق إلا لأصحاب السلطان والأقوياء، ولذا فقد أوذى المسلمون إيذاء شديدا فى بدء الدعوة، ومنعوا من حرية القول والعبادة معا، وبهذا نرى أن شريعة القرآن سبقت القوانين الوضعية فى تقرير نظرية الحرية بأحد عشر قرنا من الزمان، لأن القوانين الوضعية لم تبدأ بتقرير هذه النظرية إلا فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، ومع ذلك فالمشرعون الوضعيون بعد تجاربهم الطويلة لا يزالون ينقسمون حتى الآن إلى قسمين، قسم منهم يرى حرية القول دون قيد إلا فيما يمس النظام العام فقط، ولا يعيرون الأخلاق أى اهتمام، وقسم يرى تقييد حرية الرأى لكل ما يخالف رأى الحاكمين فى نظرتهم إلى الحياة، وكلا الرأيين يؤدى إلى مشاكل كثيرة، أما شريعة القرآن فقد جمعت بين هاتين النظرتين إلا أنها لم تتركها على إطلاقها وقيدتها بما لا يمس الأخلاق والآداب والنظام[1].

أقول بل إن الإسلام لم يقصر دعوته إلى حرية الفكر على الجانب السياسى والاجتماعى، وإنما دعا إلى استعمال الحرية الفكرية فى المسائل الشرعية الاجتهادية عملا بقوله سبحانه "ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم"[2].

[1]- دراسات فى النظم الإسلامية ص١١٢.

[2]- سورة النساء آية ٨٣.

وبفضل هذه الحرية ازدهر الفقه الإسلامى فى القرون الأولى ازدهارا كبيرا واعتبر الإسلام المخطئ والمصيب مستحقا للأجر والمثوبة عند الله تعالى تشجيعا للحرية الفكرية وتضيقا لحدود التقليد.

ضوابط الحرية الفكرية:

وقبل أن أسوق تطبيقات الإسلام على الحرية الفكرية والتى هى بمثابة الأدلة العملية عليها، والواقع يشهد بتطبيقها أنوه بتلك الضوابط التى قيد بها الشارع الحكيم الحرية الفكرية حتى يحوطها بسياج الموضوعية فلا تكون باعثة على الفتنة أو داعية إلى العدوان فأقول:-

إذا كان الإسلام قد أتاح لكل إنسان أن يعبر عن رأيه بلسانه أو بقلمه فإن هذه الحرية ليست مطلقة، وإنما قيدها الشارع بما يمنعها من العدوان وإساءة الاستعمال.

وأول من أمر بتطبيق هذه الضوابط على نفسه هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا كان قد كلف ببلاغ رسالة الله للناس ومحاجتهم فى الإيمان بالله، إلا أنه لم تترك له حرية القول على إطلاقها بل رسم له من أرسله طريق الدعوة، وبين له منهاج القول والمناقشة فقال سبحانه "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن"[١]. وقال "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم"[٢].

كما أمره أن يعرض عن الجاهلين وألا يسب الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فقال تعالى: "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"[٣]. وقال" "ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم"[٤].

وقد ذكر بعض الباحثين بعضا من هذه الضوابط وجعلها بمثابة الحدود التى يجب ألا يتخطاها من يريد التعبير عن رأيه ولا سيما إذا كان النقد والتوجيه موجها إلى الحاكم.

---

[١]- سورة النحل آية ١٢٥.

[٢]- سورة العنكبوت آية ٤٦.

[٣]- سورة الأعراف آية ١٩٩.

[٤]- سورة الأنعام آية ١٠٨

يقول الدكتور عبد الكريم زيدان:

وحق الأفراد فى إبداء آرائهم فى تصرفات الخليفة له حدود وضوابط.

الأول: أن يكون قصد صاحبه بذل النصح الخالص للخليفة جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم[١].

فلا يجوز للفرد أن يقصد فى بيان رأيه فى تصرفات الحكام التشهير بهم أو تكبير سيئاتهم أو انتقاصهم أو تجرؤ الناس عليهم، أو نحو ذلك من المقاصد الباطلة التى لا يراد بها وجه الله ولا الخير للمنصوح ولا المصلحة للأمة.

الثانى: أن يكون بيان المسلم لرأيه فى تصرفات الحكام على أساس من العلم والفقه، فلا يجوز أن ينكر عليهم أو ينتقصهم فى الأمور الاجتهادية لأن رأيه ليس من رأيهم ما دام الأمر اجتهاديا.

الثالث: لا يجوز للأفراد إحداث الفتنة ومقابلة المخالفين لهم بالرأى إذا لم يأخذوا برأيهم ما دام الأمر يحتمل رأيهم ورأى غيرهم[٢].

أقول وهذه الضوابط لا تخص التعبير عن الرأى فى مواجهة الحكام فقط بل تشملهم وغيرهم لأنها داخلة فى الضوابط التى رسمها القرآن ا لكريم للحرية الفكرية.

تطبيقات عملية للحرية الفكرية

تشريع الإسلام لمبدأ الشورى

لقد كفل الإسلام حرية إبداء الرأى، وأمر المسلم ألا يخشى فى الحق لومة لائم، بل كان ذلك ضمن نص البيعة التى بايع النبى صلى الله عليه وسلم عليها أصحابه، روى الشيخان عن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان، وعلى أن نقول الحق أينما كان لا نخاف فى الله

---

[١]- رواه البزار عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح/ فيض القدير ج٣ ص ١٨٣.

[٢]- أصول الدعوة ص ٢١٥.

لومة لائم[١]. وضمانا لتحقيق حرية الرأى شرع الإسلام مبدأ الشورى وجعله من أهم المبادئ الدستورية فى الإسلام نطق به القرآن الكريم، وجاءت به السنة النبوية وأجمع عليه الفقهاء، قال تعالى آمرا نبيه به: "وشاورهم فى الأمر"[٢]. بل كان من تكريم الإسلام لهذا المبدأ أن سميت سورة باسمه تدل عليه وهى سورة الشورى.

وكان للإسلام سبقه الزمنى على جميع الأنظمة فى تقديره له دون مطالبة من أحد.

يقول الدكتور عبد الكريم عثمان:

وقد سبق الإسلام فى تقديره هذه القاعدة- الشورى- جميع الأنظمة والمذاهب الأخرى، وكان سبقه الزمنى كبيرا جدا لأن معظم المجتمعات الحديثة اقتبست هذه القاعدة عن مبادئ الثورة الفرنسية، وهكذا يزيد سبق الإسلام الزمنى فى تقرير هذا المبدأ أكثر من أحد عشر قرنا، ويزداد إعجابنا بسمو الإسلام فى تقريره للشورى إذا علمنا أن إعلانه لها لم يكن نتيجة لمطالبة من الناس أو ثمرة لتطورهم ولرقى الوعى السياسى والاجتماعى آنذاك، فالمجتمعات فى ذلك الحين كانت أبعد ما تكون عن التفكير بمبدأ الشورى أو المطالبة به، ولو ألقينا نظرة على الدول المعاصرة لظهور الإسلام لوجدنا أن الناس كانوا يعتبرون حكامهم آلهة أو أنصاف آلهة أو أنهم على الأقل كانوا ينظرون إلى أعمالهم على أنها مقدسة ولا يجوز نقدها أو الخروج عليها، وهكذا فلم يكن من حق الشعوب أن تشارك بالرأى أو بالنقد فى حكم نفسها، هذا بالإضافة إلى نظرة الاحتقار التى كان الحكام ينظرون بها إلى شعوبهم، وكان الوضع العادى أن يحكم الرسول ومن بعده من الخلفاء بطريقة مماثلة، ولم يكن ذلك ليلقى أى استغراب أو استنكار لأنه الأسلوب المتبع فى الحكم، هذا بالإضافة إلى محبة المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم، ذلك الحب الذى كان يدفع المسلم إلى التضحية بنفسه لأدنى إشارة يشيرها الرسول الكريم، والذى كان يدفعه بالتالى إلى تقبل أى نوع من الحكم يراه، ولكن الشريعة الكاملة الخالدة المنزلة من الله تأبى إلا أن تقرر هذا المبدأ عاملة بذلك على رفع مستوى الجماعة، وجعلها على مستوى النظر فى المسائل العامة

[١]- فتح البارى ج١٣، ص٢٥، ط دار المنار، صحيح مسلم ج٦، ص١٧.

[٢]- سورة الشورى آية ٣٨.

والمصالح الضرورية والاشتراك فى الحكم ومراقبة الحكام، وكان هذا الموقف طبيعيا من الإسلام الذى كرم الإنسان وجعله خليفة على هذا الأرض يعمرها بما يعود على الناس بالخير فى دنياهم وأخراهم، الإسلام الذى يقرر مبادئ المساواة والحرية الصحيحة والعدالة المطلقة بين الناس[١].

الشورى فى عهد النبى والخلفاء الراشدين

لم يكن النص على الشورى أمرا نظريا، فقد طبق النبى صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ على نفسه، وطبقه الخلفاء الراشدون من بعده، وتفصيل ذلك فيما يلى :-

اولاً : تطبيق النبى للشورى:

المتبع لحياة النبى صلى الله عليه وسلم يلاحظ أنه كان يستشير أصحابه فى معظم الأمور التى لم ينزل فيها وحى من الله، فكانت سيرته عليه السلام خير مثال يحتذى فى ذلك فقد أعطت للناس المثل الأعلى فى قبول المعارضة، وإفساح الصدر لكل خاطرة قد تعن فيها شبهة لأحد أفراد الرعية.

من ذلك طلبه مشورتهم فى مواجهة القرشيين يوم بدر عندما أتاه الخبر بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار اصحابه وقال أشيروا على أيها الناس، فقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ، ولكن أذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون" فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد- موضع بناحية اليمن وقيل الحبشة- لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له به، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا عليه أيها الناس وإنما يريد الأنصار وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن

[١]- معالم الثقافة الإسلامية ص ١٨٠.

ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، فلما قال ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال أجل، قال: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر فى الحرب، صدق فى اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال: سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم[١].

ومن ذلك أيضا استشارته لهم فى أمر الأسرى فى هذه الغزوة، يقول الإمام ابن القيم:

واستشار الصحابة فى أسارى بدر، فأشار عليه الصديق أن يأخذ منهم فدية تكون لهم قوة على عدوهم ويطلقهم، لعل الله أن يهديهم إلى الإسلام، وقال عمر لا والله ما أرى الذى رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديد قريش فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله أبو بكر، ولم يهو ما قال عمر، فلما كان من الغد أقبل عمر فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى هو وأبو بكر فقال يا رسول الله من أى شئ تبكى أنت وصاحبك: فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكى للذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة، وأنزل الله: "ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم"[٢].

يقول ابن القيم مبينا العلة من بكاء النبى صلى الله عليه وسلم، قالوا وأما بكاء النبى فإنما كان رحمة لنزول العذاب لمن أراد بذلك عرض الدنيا، ولم يرد ذلك رسول الله ولا أبو بكر، وإن أراده بعض الصحابة، فالفتنة كانت تعم ولا تصيب من أراد ذلك خاصة، كما هزم العسكر يوم حنين بقول أحدهم: لن نغلب اليوم من قلة، وبإعجاب بكثرتهم

١- سيرة ابن هشام ج٢، ص ٤٠٧.

٢- سورة الأنفال آية ٦٧، ٦٨.

لمن أعجبته منهم، فهزم الجيش بذلك فتنة ومحنة، ثم استقر الأمر على النصر والظفر والله أعلم[١].

كما كان النبى صلى الله عليه وسلم ينزل على رأى أصحابه فمن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن اسحاق من أن سعد بن معاذ قال: يا نبى الله آلا نبنى لك عريشا تكون فيه، ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن ورائنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبى الله ما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا، ودعا له بخير، ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه[٢].

ولا ننس كذلك عندما أشار عليه الحباب بن المنذر بمكان نزول فى بدر غير مكانه الذى نزل فيه فقال له النبى لقد أشرت بالرأى يقول ابن اسحاق فحدثت عن رجال من بنى سلمة أنهم ذكرو أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ قال بل هو الرأى والحرب والمكيدة، فقال يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ثم نقابل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأى، فنهض رسول الله ومن معه من الناس فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية[٣].

كما كان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يقبل المعارضة من أصحابه ويفسح صدره لها من ذلك ما وقع فى صلح الحديبية عندما وافق على ما اشترطته قريش ورأى المسلمون أن فيها إجحافا بهم ومن بين هذه الشروط : أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه، فلم يطق عمر صبرا، يصور

١- زاد المعاد ج٣، ص ٤، ٥.

٢- سيرة ابن هشام ج٢، ص٤١٢.

٣- سيرة ابن هشام ج٣، ص٤١٢.

ابن هشام هذه الحادثة فيقول فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتابة، وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال أليس برسول الله؟ قال بلى ، قال أولسنا بالمسلمين؟ قال بلى ، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال بلى، قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا؟ فقال أبو بكر يا عمر الزم أى أمر الرسول ولا تخالفه- فإنى أشهد أنه رسول الله، قال عمر، فإنى أشهد أنه رسول الله ، وظلت الشبهة قائمة بنفس عمر، ودلف إلى رسول الله لأنه لم يقتنع بنصيحة أبى بكر فقال يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال بلى، قال أولسنا بالمسلمين؟ قال بلى، قال أوليسوا بالمشركين؟ قال بلى، قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا؟ فقال رسول الله أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى قال فكان عمر يقول مازلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيرا[١].

ثانياً : تطبيق الخلفاء الراشدين للشورى:

سار الخلفاء الراشدون على نهج نبيهم صلى الله عليه وسلم فى تطبيق الشورى وقبول النصح وتشجيع الجهر بالرأى الحق، وليس ثمة معارضة أبلغ من هذا الحكم الدستورى الذى نادى به أبو بكر رضى الله عنه فى أول يوم لحكمه حينما قام فى المسجد يخطب بعد البيعة فقال أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتمونى على حق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى، أطيعونى ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم[٢].

وكان رضى الله عنه يرجع إلى المسلمين فيما يعرض من الشؤون العظيمة كاختيار الولاة والقواد وتسيير الجيوش، وحروب الردة، وتوزيع الغنائم، وفيمن يلى الأمر من بعده، وفى بعض التشريعات كميراث الجدة حينما جاءته تطلب ميراثها فقال: لا أجد لك فى كتاب الله شيئا، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا ثم سأل الناس، فقام المغيرة بن شعبة فقال سمعت رسول الله يعطيها السدس فقال أبو بكر هل معك من أحد، فشهد محمد بن أبى سلمة بمثل ذلك فأنفذه، وغير ذلك، يقول الداعية الهندى، إن من أجل مآثر أبى بكر أنه كون مجلس شورى

١- سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٣٦ بتصرف.

٢- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية/ عطية صقر ص٢٣٨ ط: مؤسسة الصباح.

كان يعرض عليه أية مسألة ليس فيها نص صريح فى القرآن أو الحديث، وكان المجلس يناقش هذه المسألة، ويتخذ فيها قرارا بالإجماع أو بأغلبية الأصوات وكانت السلطة التنفيذية التى يمثلها الخليفة تتبنى هذا القرار[١].

وهذا عمر بن الخطاب لم يستقل دون أصحابه برأى فى أمور الخلافة فاستشارهم حين طلب منه عمرو بن العاص الإذن بفتح مصر واستشارهم فيمن يقود جيوش المسلمين فى حرب فارس، وأشاروا باختيار سعد بن أبى وقاص فاختاروه، كما جعل الشورى فى نفر من الصحابة عينهم ليختاروا من بينهم من يكون خليفة فى بعده، وظهرت مشورته أوضح ما تكون فى تأميم الأرض كأرض السواد عندما جعلها كلها ملكا للأمة وليست ملكا للأفراد واستشار أصحابه فى حد شارب الخمر وجعله ثمانين جلدة.

روى مالك بن أنس أن عمر بن الخطاب استشار فى الخمر يشربها الرجل فقال على بن أبى طالب أرى أن نضربه ثمانين جلدة كحد القذف فإنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى فجلد عمر فى الخمر ثمانين[٢].

وأختم حديثى عن الشورى وقبول المعارضة كتطبيق عملى لحرية الفكر والتعبير عن الرأى بما حدث فى أثناء خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وقد فتح الله على المسلمين جنبات الأرض واتسعت أرزاقهم غالى الناس فى المهور فخاف عمر مغبه ذلك وأراد أن يضع حدا معينا لا يتعداه الناس فصعد إلى المنبر وقال لا تزيدوا فى مهور النساء على أربعين أوقية، وإن كانت بنت ذى القصعة- يعنى يزيد بن الحصين وكان أغنى الأغنياء، فمن زاد ألقيت الزيادة فى بيت المال فقامت إليه امرأة من صف النساء وقالت له كيف تصنع ذلك يا عمر والله سبحانه يقول وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا[٣] فما كان من عمر إلا أن رجع عن قوله وقال أصابت امرأة وأخطأ عمر[٤].

١- المجتمع الإسلامى وأصول الحكم د/ محمد الصادق عفيفى ص٧٨ ط: دار الاعتصام.

٢- الموطأ ص ٣١١.

٣- سورة النساء آية ٢٠.

٤- نيل الأوطار/ الشوكانى ج٦، ص١٧٠.

المبحث الثالث
الحرية الاقتصادية وأبعادها

وتوفير هذه الحرية للإنسان يمكنه من أن يبذل كل طاقته وجهده فى العمل البناء المثمر الذى يعود نفعه عليه وعلى مجتمعه.

والإسلام فى إقراره للحرية الاقتصادية إنما ينسجم فى ذلك مع طبيعة الإنسان وغريزته التى تتطلع دائما بكل طموح وتوثب نحو العمل الدؤوب طمعا فى المال والربح، وهذه الغاية لا تتعارض مع مصلحة المجتمع بل تتوافق معها، فجهد الفرد تعود نتيجته إلى المجتمع، ولو أن كل فرد ثابر على العمل الجاد والجهد المنتج لاستطاع المجتمع أن يقطف ثمار هذه الجهود تقدما وازدهارا، وحتى لا تطفى الأنانية على عقلية المنتج لأنها تؤدى عادة إلى إخضاع المصالح العامة إلى مصلحة بعض الأفراد قيد الإسلام الحرية الاقتصادية بمصالح الجماعة، فإذا ترتب على الفعل المشروع للفرد إضرار بالجماعة فإن هذا الفعل المشروع يصبح محرما لا لذاته بل لما ترتب عليه من إضرار بالآخرين.

والحرية الاقتصادية فى الإسلام تتضمن نوعين من الحريات:

الأول : حرية العمل والكسب.

الثانى : حرية التملك.

أولا: حرية العمل والكسب:

أ- مفهوم العمل فى الإسلام:

العمل فى ميزان الاقتصاد الإسلامى يطلق على كل فعالية اقتصادية مشروعة فى مقابل أجرة سواء أكان هذا العمل ماديا كالحرف اليدوية أم فكريا كالولاية أو الإمارة أو مؤلف منهما معا، وسواء أكان متواضعا كحفر الأرض أو رفيعا كرياسة الدولة، ذلك لأن الأصل تساوى البشر من حيث كونهم عمالا وبشرا لهم كرامتهم وإن تفاوتت قدراتهم ومزاياهم ودائرة عملهم سعة وضيقا ، وأجورهم قلة وكثرة فلا امتياز لفئة على أخرى، وأيضا فإن العمال ليسوا فريقا من المجتمع بل هم جميع العاملين فيه، فالتصور الإسلامى للمجتمع أنه يتألف من تعاون العاملين فيه، وليس كما يتصوره أصحاب الأنظمة الأخرى من شيوعيين ورأسماليين من أنه ينقسم إلى عمال وأرباب عمل وأن بين الفريقين صراعا طبقيا.

أما العاجزون عن العمل فعلى العاملين الكاسبين أن يتحملوهم ويتكلفوا بأمرهم.

هذا المفهوم الإسلامى للعمل نلحظه من خلال نصوص الإسلام وأقوال المسلمين.

ففى العمل اليدوى يظهر فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده"[١].

وفى العمل الفكرى يظهر فيه كذلك قوله "من عمل لنا عملا فرزقناه رزقا فما أخذه بعد ذلك فهو غلول"[٢].

فقد استعمل لفظ العمل للولايات العامة أى لوظائف الدولة ، ومن يقرأ فى تراجم الصحابة فى كتاب الإصابة يجد أن لفظ عامل يطلق على الوالى والأمير على منطقة، ولفظ استعمله بمعنى ولاه ولاية على عمل من أعمال الدولة، كما ورد فى البخارى تحت عنوان باب كسب الرجل وعمله بيده ذكر فيه عن عائشة رضى الله عنها أنه لما استخلف أبو بكر الصديق قال: لقد علم قومى أن حرفتى لم تكن تعجز عن مؤونة أهلى وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبى بكر من هذا المال واحترف فيه للمسلمين فاستعمل لفظ أحترف من الحرفة وهى الصنعة.

كما ذكر ابن تيمية فى كتاب السياسة الشرعية أن أبا مسلم الخولانى دخل على معاوية فقال السلام عليك أيها الأجير، فقال من حوله قل أيها الأمير فأعاد ثانية ثم ثالثة ثم قال إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم فإن أنت داويت مرضاها ورددت أولاها على أخراها وفاك سيدك أجرك، وإن أنت لم تفعل عاقبك سيدك فاستعمل لفظ الأجير لأمير المؤمنين وأقره معاوية وقال دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول[٣].

ب- دعوة الإسلام إلى العمل:

لقد شرف الإسلام العمل وحض عليه وبارك جهود العاملين، وشدد النكير على ظواهر البطالة والكسل والتواكل والاستجداء التى تتنافض وصورة المجتمع الإسلامية، مجتمع الحركة والحياة، ولا أدل على ذلك من ورود لفظ العمل بتصريفاته المختلفة وأبعاده الشاملة المادية

١- رواه البخارى وأحمد/ الترغيب الترهيب ج٣ ص٢ مكتبة الدعوة.

٢- رواه أبو داود / الترغيب الترهيب ج١ ص٣٤٥.

٣- ص ١٦، ١٧ باب الولايات وتولية الأصلح ط دار الهلال.

والأخلاقية، الدنيوية والأخروية فيما يزيد عن ثلاثمائة وخمسين موضعا فى القرآن الكريم[١].

بل قرن الإسلام العمل بالعبادات عندما أباح مباشرة التجارة أثناء فريضة الحج بعد أن تحرج الصحابة من مباشرتها أثناء أدائهم للفريضة فقال سبحانه: "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم"[٢].

وكذا دعا إلى ممارسة العمل بعد الفراغ من الصلاة فقال سبحانه: "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله"[٣].

وكان تخفيف قيام الليل عن المسلمين سببه الضرب فى الأرض وابتغاء تحصيل الرزق قال تعالى: "علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله"[٤].

كما أوضح الحديث النبوى أيضا أن محبة الله تتحقق للمؤمن المحترف، قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب العبد المؤمن المحترف"[٥]. : وقال أيضا: "من أمسى كالا من عمله أمسى مغفورا له"[٦].

والعمل وسيلة للحصول على ثواب الله تعالى لأنه وسيلة لتحصيل المال، وبذل المال وسيلة لمرضاة الله ونوال ثوابه فبه يعين المسلم أخاه وفى الحديث: اليد العليا خير من اليد السفلى"[٧].

وبه ينال ثواب العبادات التى لا تتحصل إلا به كالزكاة والحج وصدق النبى صلى الله عليه وسلم عندما قال: نعم المال الصالح للمرء الصالح[٨].

والحث على العمل وبذل النشاط الاقتصادى جاء عاما مطلقا غير مقصور على نوع معين، وغير مقيد بشئ سوى الحل الشرعى وعلى هذا فإنه يشمل جميع أنواع النشاط الاقتصادى ومختلف أنواع المعاملات

١- العدل الاجتماعى/ عماد الدين خليل، ص٧٠ مؤسسة الرسالة بيروت.

٢- سورة البقرة ١٩٨.

٣- سورة الجمعة آية ١٠.

٤- سورة المزمل آية ٢٠.

٥- رواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب. عن ابن عمر/ فيض القدير ج٢، ص٢٩٠.

٦- رواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس/ فيض القدير ج٦، ص١٨ ط: دار المعرفة.

٧- رواه أحمد والطبرانى عن ابن عمر/ فيض القدير ج٦ ص٥٧٥.

٨- رواه أحمد وأبو يعلى فى مسنده والطبرانى / جامع الأحاديث للسيوطى جـ٩، ص٣٩١.

والمكاسب مثل التجارة والزراعة والصناعة والشركة والمضاربة والإجارة وسائر ما يباشره الإنسان من أوجه العمل والنشاط الاقتصادى بغرض الكسب الحلال، ولا تنقص قيمة الإنسان فى نظر الإسلام بمباشرة أى عمل حلال، وإن عده الناس عملا بسيطا أو حقيرا لأن قيمة الإنسان فى نظر الإسلام فى دينه وتقواه، لا فى ماله وغناه، ولا من عمله ومهنته، ولهذا وجدنا أكابر الأمة من علمائها وفقهائها يمتهنون مختلف المهن الحرة المباحة، كما وجدنا بعض الصحابة الكرام يؤجرون أنفسهم لغيرهم للقيام ببعض الأعمال المباحة الحلال لقاء أجر معلوم والإسلام بذلك قد أعطى الإنسان حريه العمل وجعله حقا من حقوقه للاعتبارات التالية:-

جـ - آثار حرية العمل:

أولا: أن هذا المبدأ-حرية العمل- يقوم على أساس من فطرة الإنسان وحفظ كرامته وآدميته ومسئوليتة الفردية بما يصدر عنه وملاحظة مصلحة الجماعة، ذلك أن البشر متفاوتون فى أصل فطرتهم تفاوتا كبيرا من حيث قدرتهم الجسمية والعقلية، ولا تصنع التربية أكثر من أن تنمى ما عندهم من قدرة جسمية وعقلية فى حدود معينة تختلف من فرد إلى آخر فى قوته،

وهذه القاعدة فى تفاوت قدرة الناس ومواهبهم لم يستطع أى نظام أن يخالفها أو ينكرها، بل إن المساواة التامة بين الأفراد وعدم التفاوت أو على الأقل التقارب الشديد فى المقدرة وبالتالى عدم التفاوت فى الأعمال وعدم التخصص هو من سمات المجتمعات البدائية، وعلى العكس من ذلك أن تنوع التخصصات وكثرة التفاوت نتيجة لذلك من سمات المجتمعات الراقية. وكلما كان المجتمع أرقى كان التفاوت والتخصص أكثر.

لقد كان القرآن صريحا فى التعبير عن هذا القانون الاجتماعى أعنى تفاوت الناس فى مواهبهم وبالتالى فى الأعمال التى يحسنونها وينصرفون إليها: قال تعالى: "ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا"[١]. قال ابن كثير فى تفسيره للآية قيل معناه ليسخر بعضهم بعضا فى الأعمال لاحتياج هذا إلى هذا وقال الزمخشرى ليرتفق الناس بعضهم ببعض".

١- سورة الزخرف آية ٣٢.

وهذا الاختلاف والتباين بين البشر سبب لتعاونهم وذلك ليكمل بعضهم بعضا وليتوزعوا الأعمال المختلفة المتنوعة التى يحتاج إليها المجتمع وليتبادلوها فيما بينهم.

وهدى النبى صلى الله عليه وسلم يوضح أن ينصرف كل إنسان إلى ما يتقنه ويحسنه فقد صرف أباذر الغفارى عن الولاية حين طلبها وقال له يا أباذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها"[١].

وهكذا أعاد الإسلام تكوين المجتمع على أساس الكفايات لاعلى أساس العصبيات أو الأعمار فأصبح بلال الحبشى مقدما على أبى سفيان، وغدا أسامة بن زيد قائدا عاما لجيش المسلمين، ولم يعد الغنى أو الوجاهة والزعامة السابقة سببا للتقدم فى المجتمع أو لتولى الوظائف الكبرى وإنما هى الكفاية الشخصية والإخلاص للإسلام.

ثانيا: وفى تقرير حرية العمل إنماء لمواهب الإنسان وكفاءته وقدرته لأن كل إنسان يختار من الأعمال ما يرغب فيه ويناسب ميوله وقدرته فيندفع نحوه بشوق ورغبة فيكثر إنتاجه ويبارك فى عمله، وفى هذا خير عميم للمجتمع الذى يعيش فيه، وهذا بخلاف سلب الفرد حريته فى العمل وتسليط الدولة عليه لتختار هى العمل له، فإن هذا الاتجاه لا يوفر للأفراد ما يناسبهم من أعمال فتموت مواهبهم ويقل نشاطهم ويقبلون على العمل متضجرين كارهين فتقل ثمرات أعمالهم ويقل الإبداع فيها ويعود ضرر ذلك عليهم وعلى المجتمع، وإذا كان الإنسان مسئولا عن أعماله فمن العدل إعطاؤه الحرية الكافية لاختيار العمل الذى يريده[٢].

ومع هذا فإن هناك حالات استثنائية تخول لولى الأمر أن يكل أعمالا معينة لأناس يعرف أنهم أقدر على القيام بها أو أن يكون استعمال الناس لحريتهم مضرا بالجماعة فيمكنه عندئذ التدخل بما يدفع الضرر عنهم.

يقول ابن تيمية فى كتاب الحسبة: إن بذل منافع الأبدان أى العمل الجسمى يجب عند الحاجة كما يجب تعليم العلم وافتاء الناس وأداء الشهادة والحكم بينهم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد وغير ذلك من منافع الأبدان، ويقول أيضا: إن هذه الأعمال التى هى فرض على الكفاية

[١]- رواه مسلم/ جامع الأحاديث للسيوطى ج٧، ص ٥٣٨.

[٢]ح- أصول الدعوة د/ عبد الكريم زيدان، ص ٢٣٩.

متى لم يقم بها غير الإنسان صارت فرض عين عليه لا سيما: "إن كان غيره عاجزا عنها، ثم يقول: فإذا كان الناس محتاجين إلى فلاحة قوم أو نساجتهم أو بنائهم صار هذا العمل واجبا يجبرهم ولى الأمر عليه إذا امتنعوا عنه بعوض المثل.

وكلام الإمام رحمه الله يحتم على الدولة إعداد الكفايات من المواطنين للقيام بوظائفها والنهوض بخدماتها العامة وهى فكرة لم تسبق الحضارة الإسلامية حضارة إليها.

ثالثا: ومن النتائج الحتمية لتقرير مبدأ حرية العمل للأفراد إحداث المنافسة الحرة بين الأفراد فى إطار من الأخلاق الإسلامية الفاضلة، فلكل فرد أن يضاعف نشاطه أو جهده ليبز غيره فى مجال عمله بشرط مراعاة الأخلاق، فلا يجوز الغش والخداع والخصام وتنزيل الأسعار إلى حد الخسارة بحجة المنافسة الحرة بينما القصد منها الإضرار بالآخرين واحتكار البيع فى السوق من قبل فرد أو زمرة مرة قليلة تتواطأ على هذا التنزيل والإضرار بالناس[١].

رابعا: التفاوت فى الأرباح وثمرات الأعمال نظرا لاختلاف المواهب والكفاءات ومقدار الجهد المبذول. والإسلام يقر هذا التفاوت الطبيعى ما دام ناتجا عن أسباب مباحة مشروعة لأنه نتيجة لازمة لاختلاف المواهب والقدرات قال تعالى: "نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا"[٢].

ثانيا: حرية التملك:

حب تملك المال بجميع أنواعه غريزة بشرية موجودة فى كل إنسان بدرجات متفاوتة، فكل إنسان بفطرته محب للمال حريص على تملكه وجمعه بكل وسيلة يستطيعها، والإنسان لا يمل المال مهما كثر، ولا يسأم من الجرى وراءه ومحاولة كسبه وتملكه مهما بذل من جهد، ويظل حب الإنسان للمال يزداد قوة فى الإنسان كلما تقدم؛ به العمر، ووهن منه العظم، فلا يفارقه حب المال إلا حين تفارقه الحياة نفسها قال تعالى، وإنه

[١]- أصول الدعوة د/ عبد الكريم زيدان، ص٢٤٠.

[٢]- السابق، ص٢٤٠.

لحب الخير لشديد[١]، وقال وتحبون المال حبا جما"[٢]. وقال: "أولم يـــروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون"[٣].

وقد نظم الإسلام للإنسان طرق تملك المال وجمعه وفـق مبـادئ قويمة تسعد الإنسان، وتجعل المال نعمة عظمى تستحق الشكر لله سـبحانه ولا تجعله بلاء يشقى به الإنسان، ويسبب له الخسران فى الحيـاة الدنيـا، والشقاء والعذاب الأليم فى الآخرة فدعا الإنسان إلى المشـى فـى الأرض والعمل الجالب للتملك بالطرق المشروعة فقال سبحانه، هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فأمشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور[٤].

وقال أيضا: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنـون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون"[٥].

وحتى تستقيم نظرة الإنسان للمال أبان لـه الإسـلام أن الملكيـة الحقيقة للمال إنما هى لله وحدة قال سبحانه: "لله ملك السـماوات والأرض وما فيهن"[٦] والإنسان مستخلف فى تملكه قال عز وجل: "وأنفقـوا ممـا جعلكم مستخلفين فيه"[٧].

لذا أباح الإسلام للإنسان حرية التصرف فى المـال علـى هـذا الأساس الذى يجعله مسئولا عن كل تصرف فيه حتى يكون المـال فـى خدمة الفرد والجماعة ليحقق الخير لمالكه ولإخوانه، وليصبح أداة بنـاءة ووسيلة لإسعاد أفراد المجتمع جميعا، لكنه قيـد حـق التملـك وحريـة التصرف فى المال بما يكفل عدم الإضرار بحقوق الآخرين. ويمكن بيـان هذه القيود على الملكية فيما يلى:

ضوابط حرية التملك:

أولا: شرط الإسلام للملكية أن تنشأ عن سبب شرعى فإن نشـأت عن سبب غير شرعى فإن الإسلام لا يعترف بها ولا يحميها بـل يـأمر

---

[١] – سورة العاديات آية ٨.

[٢] – سورة الفجر آية ٢٠.

[٣] – سورة يس آية ٧١.

[٤] – سورة الملك آية ١٥.

[٥] – سورة التوبة آية ١٠٥.

[٦] – سورة المائدة آية ١٢٠.

[٧] – سورة الحديد آية ٧.

بنزعها من يد حائزها وردها إلى مالكها الأصلى وإلا آلت إلى بيت المـال

ويمكن إيجاز الوسائل المشروعة لكسب الملكية فيما يلى:-

أ- العمل المشروع.

ب- العقود والتصرفات بالكيفية التى شرعها الإسلام.

ج- الميراث.

ثانيا: قيد الإسلام تصرف المالك فى ماله إذا كان يجلب الضـرر للغير يقول النبى صلى الله عليه وسلم: "لا ضرر ولا ضرار"[١]، ولذا كـان لولى الأمر أن يتدخل بمنع الضرر إذا تجاوز المـالك حـدود التصـرف العادل.

روى فى ذلك الإمام أبو جعفر الصادق محمد البـاقر عـن أبيـه الإمام على زين العابدين أنه قال: كان لسمرة بن جندب نخل فـى حـائط رجل من الأنصار (أى بستان) وكان يدخل هـو وأهلـه فيؤذيـه فشـكا الأنصارى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليـه السـلام لصاحب النخل بعه فأبى، فقال له فاقطعه، فأبى، قال فهبه له ولك مثله فـى الجنة فأبى، فالتفت إليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال: أنت مضار، ثـم التفت إلى الأنصارى وقال: اذهب فاقطع نخله[٢].

ثالثا: قيد حرية التملك إذا تعلق بها حق الغير فلا يكون ثمة للمالك منع غيره من الانتفاع بحقه من ذلك حق مرور الماء إذا كـان لا يضـر صاحب الأرض، فقد روى فى الموطأ أن رجلا اسـمه الضحـاك سـاق خليجا من العريض- الخليج مجرى صغير- فأمر أن يمر به فـى أرض محمد به مسلمة فأبى فكلمه فيه عمر رضى الله عنه فأمر أن يخلى سـبيله فقال لا والله، فقال عمر لم تمنع أخاك ما ينفعه وهو لك نافع، تسـقى أولا وآخرا وهو لا يضرك؟ فقال محمد لا، فقال عمر والله ليمرن ولـو علـى بطنك فأمره عمر أن يمر به.

كما روى عنه رضى الله عنه قوله بعد عام الرمادة: لـو كـانت السنة مرة أخرى لأدخلت على أهل كل بيت مثلهم، لأن الناس لا يـهلكون على أنصاف بطونهم[٣].

---

[١] – رواه أحمد عن ابن عباس/ فيض القدير، ج٦، ص٥٣١.

[٢] – أبى داود جـ٤، ص٥٠.

[٣] – السابق ص ١٩١.

ولعل فهمه رضى الله عنه مستقى من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يرويه أبو سعيد الخدرى فيقول: كنا فى سفر فقال صلى الله عليه وسلم، من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له، ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، وأخذ يعدد أصناف الأموال حتى ظننا أن ليس لنا من أموالنا ما يكيفينا[١].

رابعا: منع الإسلام من تملك ما يحتاج إليه الناس بشكل ضرورى كالماء والمرافق العامة، يقول صلى الله عليه وسلم: الناس شركاء فى ثلاث: الماء والكلأ والنار[٢].

وقد خص صلى الله عليه وسلم هذه الضرورات بالذكر لأنها من ضرورات الحياة من البيئة العربية فلا يستغنى عنها أحد، ويقاس عليها كل ضرورة اجتماعية كالمرافق العامة لأن تملك الأفراد لها يؤدى إلى سوء الاستغلال والإضرار بالآخرين، يقول الإمام الشافعى رضى الله عنه: كل عين ظاهرة كنفط أو قار أو كبريت أو مومياء أو حجارة ظاهرة فى غير ملك لأحد فليس لأحد أن يحتجرها دون غيره، ولا لسلطان أن يمنعها لنفسه ولا لخاص من الناس لأن هذا كله ظاهر كالماء والكلأ، ولو تحجر رجل لنفسه من هذا شيئا أو منعه منه سلطان كان ظالما[٣].

ولذا منع الإسلام إحياء الأرض داخل العمران لانتفاع الجميع بها أو إحياءها خارج العمران إذا كانت من المرافق العامة، فقد حمى[٤] النبى صلى الله عليه وسلم أرضا بالمدينة يقال لها البقيع، ومنع الناس من تملكها لترعى فيها خيل المسلمين أجمعين[٥]، وفى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما حمى أرضا بالربذه، جاء الناس قائلين يا أمير المؤمنين إنها بلادنا قاتلنا عنها فى الجاهلية وأسلمنا عليها فى الإسلام علام تحميها؟ فأطرق عمر ثم قال المال مال الله، والعباد عباد الله والله لولا ما أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت من الأرض شبرا[٦].

---

[١] - رواه أحمد ومسلم أبو وداود -جامع الأحاديث للسيوطى جـ٦، ص٢٣١.

[٢] - الفتح الربانى بترتيب مسند أحمد الشيبانى جـ٥، ص١٣٢.

[٣] - الأم للشافعى جـ ٣، ص٤٥.

[٤] - الحمى/ اقتطاع جزء من الأرض وجعله مرفقا عاما.

[٥] - الأموال لأبى عبيد ص٢٩١.

[٦] - الأموال ص ٢٩٩.

ولقد جعل عمر هذه الأرض للفقراء ترعى فيها ما شيتهم، ومنع منها الأغنياء وقال لواليه الذى أرسله لتنفيذ ما قرره: اضمم جناحك على الناس، واتق دعوة المظلوم فإنها مجابة، وأدخل رب الصريمة (الإبل القليلة) والغنيمة (الغنم القليلة) وامنع نعم ابن عفان وابن عوف فإنها إن هلكت ماشيتهما رجعا إلى نخل وزرع ، وإن هذا المسكين إن هلكت ماشيته جاءنى ببنيه يصرخ يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا؟ لا أب لك[١].

خامسا: قيد الإسلام الملكية بحقوق مفروضة أوجبها كالزكاة وجعلها ركنا من أركان الإسلام الخمسة شرعها لتحد من غريزة حب الإنسان للمال وتقلل من تعلقه به، وقد ربط الإسلام هذه الحقوق بالدين ليجعل أداءها على المسلم واجبا امتثالا لأمر الله وكسبا لثوابه فى الدنيا والآخرة، كما أن ذلك يعطى ولى الأمر سلطانا شرعيا فى تنفيذ ما أمر الله به إن أبى صاحب المال أداء ما عليه من الحقوق الواجبة عليه كما فعل الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع مانعى الزكاة.

سادسا: كما قيد الإسلام حق استهلاك المال موضوع الملكية فدعا إلى الاعتدال فى الإنفاق قال تعالى: "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا"[٢].

وقال: "والذين إذا أنفقوا لم يسروفا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما"[٣]. هذا فى الإنفاق فى الضروريات أو المباحات، أما الإنفاق فى المحرمات فممنوع قليلة وكثيره.

فبان من ذلك أن الإسلام كما حمى حرية التملك نأى بها عن الضرر، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟

---

[١] - المجتمع الإنسانى/ محمد أبو زهرة، ص١٩٢.

[٢] - سورة الأعراف آية ٣١.

[٣] - سورة الفرقان آية ٦٧.

الخـــــاتمة

من خلال الدراسة التى سبق عرضها يمكن الوقـــوف علـــى مـــا يلى:-

أولا: أن الحرية لا تعنى الانطلاق المطلق، بل هى الانطـــلاق المنضبـــط الذى تصحبه السيطرة على النفس والإحســـاس بحقـــوق النـــاس، فالحرية لا تتصور إلا مقيدة، إذ لو كانت منطلقة لكـــانت حريـــة فوضوية ولتناقضت مع المسئولية التى وكلت إلى الإنسان.

ثانيا: للحرية فى الإسلام مجالات متنوعة لعل من أبرزها ما شمله البحـــث بالدراسة ألا وهى:-

أ- الحرية الدينية وركائزها.

ب- الحرية الفكرية ضوابطها وتطبيقاتها.

ج- الحرية الاقتصادية وأبعادها.

ثالثا: الحرية الدينية تعنى إعطاء الفرد حقه فى اختيار ما يدين بـــه عـــن قناعة ورضى وهذا يتأسس على ركائز ثلاثة هى:

أ- التفكير الحر فيما يراد اعتقاده.

ب- منع الإكراه على الاعتقاد.

ج- العمل وفق ما يدين به الشخص.

رابعا: الحرية الفكرية أو التعبير عن الرأى جعلها الإسلام حقا للناس علـــى السواء، ونادى بها فى وقت كانت الحرية فيه لأصحاب الســـلطة والأقوياء، ووضع لها ضوابـــط تحـــول دون الاعتـــداء وإســـاءة الاستعمال حتى لا تتخطى مسارها الصحيح فى النقد والتوجيه.

خامسا: من الحريات التى كفلها الإسلام الحرية الاقتصادية وهى تتضمـــن نوعين من الحريات هما:

أ- حرية العمل

ب- حرية التملك

أما حرية العمل فقد جعلها الإسلام حقـــا مـــن حقـــوق الإنســـان للاعتبارات التالية:-

أ- الأساس الفطرى الذى جبل عليه الإنسان من حيـــث القـــدرات والمواهب.

ب- إنماء المواهب والكفاءات فيختار الإنسان من الأعمـــال مـــا يتناسب مع ميوله وقدراته فيندفع نحوه بشوق ورغبة فيكثر إنتاجـــه ويبارك فى عمله.

ج- إحداث المنافسة الحرة بين الأفراد فى إطـــار مـــن الأخـــلاق الفاضلة.

د- التفاوت فى الأرباح وثمرات الأعمال نظرا لاختلاف المواهـــب والكفاءات.

أما حرية التملك فقد أباحها الإسلام علـــى أســـاس مـــن الفطـــرة البشرية إلا أنه قيدها بما يكفل عدم الإضرار بملكيـــات الآخريـــن وها هى قيودها:-

أ- شرط الإسلام أن تنشأ الملكية عن سبب مشروع كالعمل المباح أو العقود المشروعة أو الميراث.

ب- قيد الإسلام تصرف المالك إذا كان يجلب الضرر للغـــير أو تعلق بملكيته حق من حقوق الآخرين.

ج- منع الإسلام من تملك ما يحتاج الناس إليه بشكل ضـــرورى كالمرافق العامة .

د- قيد الإسلام الملكية بحقوق مفروضة أوجبها كالزكاة وغيرهـــا، كما قيد حق الإنفاق منها بعدم الإسراف.

سادسا: كما اتضح من هذه الدراسة سبق الإسلام لغـــيره مـــن القوانيـــن البشرية والمنظمات الدولية فى كفالة الحريات شأنه دائما فى كـــل تنظيم يصبو إلى تحقيق المصلحة للفرد والجماعة

قال تعالى: "صبغة الله ومن أحسن مـــن الله صبغـــة ونحـــن لـــه عابدون"[1].

والله الهادى إلى سواء السبيل

---

[1]- سورة البقرة آية ١٣٨.

مراجع البحث

القرآن الكريم
١- أصول الدعوة د/ عبد الكريم زيدان ط. دار عمر بن الخطاب بالإسكندرية.
٢- الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعى ط. الدار المصرية للتأليف.
٣- الأموال لأبى عبيد بن القاسم بن سلام ط. دار الفكر.
٤- الإنسان وحريته فى الإسلام د. محمود بابللى ط. دار الشبل بالرياض.
٥- الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ط. مكتبة الدعوة.
٦- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ط. مكتبة التراث الإسلامى.
٧- تنظيم الإسلام للمجتمع للإمام محمد أبو زهرة. ط. دار الفكر.
٨- جامع الأحاديث للإمام السيوطى ط. حسن عباس زكى.
٩- الخراج لأبى يوسف - المطبعة السلفية.
١٠- دراسات فى النظم الإسلامية د. عبد الغفار عزيز وآخرين المطبعة المحمدية.
١١- الدعوة إلى الإسلام/ توماس أرنولد- مكتبة النهضة المصرية.
١٢- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية/ عطية صقر- مؤسسة الصباح.
١٣- رسالة التوحيد للإمام محمد عبده. ط دار الهلال.
١٤- زاد المعاد للإمام ابن القيم - المطبعة المصرية.
١٥- سنن ابى داود للحافظ أبى داود سليمان الأشعث السجستانى ط. دار الفكر.
١٦- السيرة النبوية لابن هشام ط. دار التراث العربى.
١٧- السياسة الشرعية للإمام - ابن تيمية ط. دار الهلال.
١٨- شرح كنز الدقائق للزيلعى - المطبعة الأميرية ببولاق.
١٩- صحيح البخارى للإمام البخارى ط. دار الشعب.
٢٠- العدل الاجتماعى/ عماد الدين خليل ط. مؤسسة الرسالة-بيروت.
٢١- الفتح الربانى بترتيب مسند أحمد الشيبانى/ أحمد عبد الرحمن البنا ط: القاهرة.
٢٢- فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ط دار المنار.
٢٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى ط. دار الفكر بيروت- لبنان.

٢٤- لسان العرب- ابن منظور دار المعارف القاهرة.
٢٥- المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام. محمد أبو زهرة- دار الفكر.
٢٦- المجتمع الإسلامى وأصول الحكم د/ محمد الصادق عفيفى ط. دار الاعتصام.
٢٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- نور الدين الهيثمى ط- دار الفكر بيروت- لبنان.
٢٨- الموطأ للإمام مالك ابن أنس - ط دار النفائس بالرياض.
٢٩- نيل الأوطار- للإمام الشوكانى ط. مكتبة الدعوة.

فهرس البحث

المقدمة ٢
التمهيد:- مفهوم الحرية وارتباطها بالمسئولية ٤
المبحث الأول: الحرية الدينية وركائزها ٦
التفكير الحر فيما يراد اعتقاد ٦
منع الإكراه على الاعتقاد ١٠
العمل وفق ما يدين به الشخص ١٨
المبحث الثانى: الحرية الفكرية أو حرية الرأى-الضوابط والتطبيقات ٢٠
ضوابط الحرية الفكرية ٢١
تطبيقات عملية ٢٢
المبحث الثالث: الحرية الاقتصادية وأبعادها ٢٩
حرية العمل والكسب ٢٩
مفهوم العمل فى الإسلام ٢٩
دعوة الإسلام إلى العمل ٣٠
آثار حرية العمل ٣٢
حرية التملك ٣٤
ضوابط حرية التملك ٣٥
الخاتمة ٣٩
مراجع البحث ٤١
الفهرس ٤٣